الأمانة ومشتقاتها في القرآن الكريم
دراسة وصفية جمالية

مجدي عبد المعروف حسين أحمد
قسم اللغة العربية– جامعة سنار

المستخلص:

الأمانة من الكلمات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع وبتناول مختلف، فجاءت هذه الورقة تحمل عنوان:"الأمانة في القرآن الكريم–دراسة وصفية جمالية "،فقد عظم شأن الأمانة في القرآن الكريم،فهي خصيصة رسالة الإسلام وصفة المؤمنين،فللأمانة الدور الأساس في تثبيت العلاقة بين أفراد المجتمع.

تعرضت هذه الورقة للآيات التي وردت فيها الأمانة بالتحليل والتوصيف والتفسير وبحث بعض القيم الجمالية في هذه الآيات،ومحاولة قراءة الواقع بين الحين والآخر.

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم – الأمانة – وصفية

ABSTRACT:

Trust is one of the frequent words in Holly Quran that came in more than one meaning and more than once، and so this paper is titled" Trust in the Holly Quran-a descriptive and aesthetic study ". Trust has a great place in the Holly Quran، as it is the core of the message of Islam and main trait of believers، and it has a basic role in strengthening relations between members of the society. This paper used description and analysis with verses in which Trust was mentioned; as well it tried to search aesthetic values in the verses and analyses realty.

المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا،إنه من يهده الله فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة،وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

إن الأمانة مهمة خطيرة ووظيفة كبيرة، والأمانة مسؤولية يتحملها المرء و يحافظ عليها،وإن الأمانة إذا كانت شيئاً ماّدياً فإنّه يتوجب إعطاؤها إلى أكثر الناس استقامة وأفضلهم أخلاقاً وأرجحهم عقلاً، أما إذا كانت هذه الأمانة مسؤولية فالواجب كذلك إسنادها إلى أكثر الناس علماً وأوسعهم تجربةً. وباختصار ينبغي أن يتم اختيار الشخص المناسب للنهوض بهذه المسؤولية . وتكليف من هو أقل علماً وكفاءة يعني أن الهوى قد يدخل في موضوع هذا الاختيار، ويتمثل بشكل خاص في اختيار من تكون له قرابة دموية أو من يعتقد أنه قد يقابل هذا الفضل بمثله أو بأحسن منه في المستقبل ، وبشكل عام فإن هذا السلوك هو الأكثر شيوعاً في أوساط المجتمع، بمعنى أن إيثار المصلحة هو الغالب على نفوس الناس، ولهذا فإن القرآن الكريم يرى أن اختيار الأكثر أمانة و الأفضل أخلاقاً أمر ضروري.

عظّم – سبحانه – شأن الأمانة ، وأمر بأدائها في قوله – عز وجل:"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا" [النساء:58] ، وقوله سبحانه : "إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا" الآية [الأحزاب:72] ، وحذرهم – عز وجل – من خيانة الأمانة في قوله سبحانه :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [الأنفال:27] ، ووصف عباده المؤمنين في سورة "المؤمنون" وفي سورة "المعارج" بأنهم يرعون الأمانات والعهود وذلك في قوله – سبحانه:-"وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ" [المعارج:32 ، والمؤمنون:8].

فجاءت هذه الدراسة بعنوان "الأمانة في القرآن الكريم– دراسة وصفية جمالية"،حيث أوردت الدراسة الآيات التي ذكر الله فيها الأمانة في القرآن الكريم مع قبس من التفسير والتوصيف واضفاء لمسات من جمال أي الذكر الحكيم على المستوى التوجيهي والجمالي .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أنها تناولت موضوعاً ذا علاقة بالإنسان،فنحن أكثر حاجة لمن يؤتمن على عهود الأمة ومواثيقها،ومن لا يضيّع حقوقها،وأن من أبرز إضاعت الأمانة إسناد الأمور إلى غير أهلها.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى توضيح أن للأمانة مشتقات جاءت في القرآن الكريم تعالج رعاية العهد وبراء الذمة وصيانة المواثيق،والأمانة من الإيمان،فمن لا أمانة له لا إيمان له.

كما تهدف الدراسة إلى إيراد تفسير مشتقات الأمانة من بعض كتب التفسير ، وتوضيح الجانب الدعوي والتوجيهي والوصفي والجمالي في هذه الآيات ما أمكن ذلك .

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي،حيث تعرضت لآي الذكر المبين التي وردت فيها الأمانة رصداً وتفسيراً وتحليلاً،ومحاولة إيجاد علاقة بين ما عرض من آي الذكر الحكيم والواقع .

مدخل :

لا أحد ينازع في أن الأمانة من ألزم الأخلاق للفرد والجماعة على السواء،وليست هذه الأمانة قياماً بحفظ المال الذي نودعه عند الإنسان فحسب ، فإن هذا أضيق معاني الأمانة ، يقول الله تعالى:" إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" [الأحزاب/72]،وبدهي أن الأمانة هنا ليست حفظ المال فقط،فذلك ما لا يفيده نص الآية الكريمة،وانما نستشعر أن المراد بالأمانة هنا شيء تأباه طبيعة العوالم كلها إلا الإنسان الذي أهّله الله لحمل هذه الأمانة والاتصاف بها فأصح تحديد لهذه الأمانة في الآية هو:التزام الواجبات الاجتماعية وأداؤها خير أداء كما شرعها الله سبحانه وتعالى للناس.والإنسان وحده من بين هذه العوالم كلها هو الذي يستطيع أن يتحكم في ميوله وغرائزه فيخضعها لمقاييس الحق ويكون بين الناس وفياً بما التزم نحوهم من عهود،عاملاً على بث الطمأنينة في أوساطهم ، فإن رجع بعد هذا الواجب كان خائناً للأمانة عاملاً على الأذى ، ظالماً لنفسه ولمجتمعه،جاهلاً بما تجره الخيانة عليه وعلى الناس من شر وفساد .

ومن وفاء السموءل– وهو يهودي– أن امرأ القيس بن حجر الكندى لما أراد الخروج إلى الروم استودع السموءل دروعاً له، فلما هلك امرؤ القيس غزا ملك من ملوك الشام السموءل فتحصن منه في حصنه، فأخذ الملك ابناً له خارج الحصن، وقال له إما أن تفرج عن وديعة امرئ القيس،وإما أن أقتل ابنك فامتنع من تسليم الوديعة فذبح الملك ابنه وهو ينظر ثم انصرف، ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس وقال:**(1)**

وفيت بأدرع الكنديّ، إني ... إذا ما خان أقوام وفيت

وقالوا عنده كنزٌ رغيبٌ ... فلا وأبيك أغدر ما مشيت
بنى لي عادياً حصناً حصيناً ... وبئراً كلما شئت استقيت

على هذا تكون الأمانة شاملة القيام بجميع التكاليف والالتزامات الاجتماعية والأخلاقية،فالعقل لدى الإنسان أمانة إن عمل بمقتضاه ونظم بالعلم والمعرفة وعمل فيه بطاعة الله كان مؤدياً للأمانة خير أداء،والجسم أمانة لديك فإن أنت غذيته وصححته ورفقت به، ولم ترهقه كنت محسناً محافظاً على الأمانة .

وزوجك وولدك ووالداك وكل من تشترك معهم في أواصر القربى ويلزمك حفظهم والنصح لهم هم أمانة عندك،فإن رعيت حقوقهم وأسديت لهم الخير وأبعدت عنهم الأذى كنت قائماً بالأمانة أحسن قيام:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " [التحريم/6]،وحق المجتمع عليك في نشر الخير فيه وإشاعة الطمأنينة،وكبح جماح النفس تجاه الغرائز،ومحاربة الفساد،وتزكية النفس،أمانة يلزم الوفاء بها،فإن لم تفعل كنت مسيئاً إلى الناس خائناً للأمانة .

الأمانة من الأخلاق الاجتماعية التي تدل على سمو المجتمع وتماسك بنيانه أن ينتشر بين أفراده من يتصف بخلق الأمانة،ومن بواعث الشكوى والقلق وازدياد الخصومات والجرائم أن تكثر الخيانة في الناس،فلا يأمن صديق صديقه،ولا زوج زوجه،ولا أب ولده .

دلالة المصطلح :

أ – **لغة** :الأمانة: الوفاء،وضد الخيانة،وائتمن فلان وثق به. أمانة وأمنا وإمنا وأمنة:اطمأنَّ ولم يخف، فهو آمن وأمن وأمين يقال لك الأمان أي قد آمنتك والبلد اطمأن فيه أهله من الشر ومنه سلم وفلانا على كذا وثق به واطمأن إليه أو جعله أمينا عليه**(2)**، وفي التنزيل العزيز:" قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " [يوسف/64]. .

ب – **اصطلاحا**: اتفق كثير من العلماء على تعريف الأمانة اصطلاحاً بأنها تجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً .

– ويظهر من تعريف الأمانة أنها تشتمل على ثلاثة عناصر :

1. عِفةُ الأمين عما ليس له به حق .
2. تأديةُ الأمين ما يجب عليه من حق لغيره .
3. اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره وعدم التفريط بها والتهاون بشأنها .

وفي الحديث: "أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك"**(3)** . وهذا دليل واضح على كمال دين الإسلام، وحسن ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق.

كما أن للعلم حقوقاً ، ومن أظهر هذه الحقوق صيانته عن المطامع ، والبعد عن التزلف والترفع به عما لا يليق بحملته، وإذا ما تورطت مع من دَلَفَ إلى أبواب السلاطين، أو أهل الدنيا، ابتغاء ما يتساقط من موائدهم من فتات ؛ تكون قد أهدرت حق العلم وخنت الأمانة.

الأمانة في القرآن الكريم :

عظَّم القرآن شأن الأمانة وأوضح أهميتها **إذ قال عز وجل:** " **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** " (سورة الأحزاب الآية 72).

قال العوفي، عن ابن عباس:يعني بالأمانة: الطاعة، وعرضها عليهن قبل أن يعرضها على آدم، فلم يطقنها ،فقال لآدم: إني قد عرضتُ الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها ، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب،وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت. فأخذها آدم فتحمَّلها، فذلك قوله:{ وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا }. وقال علي بن أبي طلحة،عن ابن عباس،الأمانة:الفرائض،عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم. وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيمًا لدين الله ألا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله:{ وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا } يعني:غرًا بأمر الله. وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا محمد بن جعفر،عن أبي بشر،عن سعيد بن جبير،عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية:{ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} قال:عرضت على آدم فقال:خذها بما فيها،فإن أطعت غفرت لك،وإن عصيت عذبتك.قال:قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم،حتى أصاب الخطيئة. **(4)**

والأرضَ لم تَحْمِل الأمانة أي أدَّتْها، وكل من خان الأمانة فقد حملها حملاً يستوجب معه خيانتها أو رعايتها ،وكذلك كل من أثِمَ فقد حَمَلَ الإثْم ، ومنه قول الله جلّ وعزّ:" إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ " [العنكبوت/12] ،فأعلم الله أنّ من أتى بالإثْم يسمى حاملاً للإثم،والسمواتُ والأرضُ أبَيْنَ أن يَحْمِلْنَ الأمانَةَ وأدَّيْنَها،وأداؤها طاعَةُ الله فيما أمرها به والعملُ به وتركُ المعصية،وحَمَلَها الإنسانُ. قال الحسن أراد الكافرَ والمنافقَ حَمَلا الأمانةَ أي خانَا ولم يُطِيعا فهذا المعنى والله أعْلَم صحيح ومن أطاع من الأنبياء والصديقين والمؤمنين فلا يقال كان ظَلوماً جهولاً ،وتظافرت الأدلة على هذا من قوله:" ظَلُوماً جَهُولاً لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً "(الأحزاب:73)،إلى آخرها،فلا وما علمتُ أحداً شرح من تفسير هذه الآية ما شرحَه أبو إسحاق،ومِمّا يُؤيِّد قولَه في حمل الأمانة أنَّ خِيانَتَها وترك أدائها قولُ الشاعر أنشده أبو عبيد (**5**) :

إذا أنْتَ لم تُرِحْ تؤدّي أمانةً وتحملُ أخرى أفرَحَتْكَ الوَدائعُ

أراد بقوله وتحملُ أخرى أي تخونها فلا تُؤديها يدلك على ذلك قوله أفرَحَتْكَ الودائع ، أي أثقل ظهرَكَ الأماناتُ التي تخونُها ولا تؤديها .

إذا أنتَ لم تُرِحْ تُؤدِّي أمانةً وتَحْمِلُ أُخْرَى أفْرَحَتْكَ الوَدائعُ ورجل مُفْرِح محتاج مغلوب وقيل فقير لا مال له وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يُتْرَكُ في الإسلام مُفْرِحٌ"، أي لا يترك في أخلاف المسلمين حتى يُوسَّع عليه ويُحْسَن إليه قال أبو عبيد المُفْرِح الذي قد أفْرحه الدَّين والغُرْم أي أثقله ولا يجد قضاءه وقيل أثْقَلَ الدَّيْنُ ظهره.(6)

فالإشارة بقوله عز وجل: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" [الأحزاب/72]، إشارة إلى أن الإنسان له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطيقاً لحمل أمانة الله تعالى. وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد، وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل،كما أورد الغزالي في إحياء علوم الدين .

قال تعالى: " **وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ** ... " (سورة البقرة الآية 283)

ورد الأمر أيضاً بصيغة التصريح بالأمر برد الأمانة.

يقول تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ } أي: مسافرين وتداينتم إلى أجل مسمى { وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا } يكتب لكم. قال ابن عباس: أو وجدوه ولم يجد قرطاسًا أو دواة أو قلمًا فرُهُن مقبوضة، أي: فليكن بدل الكتابة رِهَان مقبوضة في يد صاحب الحق. وقد استدل بقوله: { فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ } على أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض، كما هو مذهب الشافعي والجمهور، واستدل بها آخرون على أنه لا بد أن يكون الرهن مقبوضًا في يد المرتهن،وهو رواية عن الإمام أحمد، وذهب إليه طائفة. واستدل آخرون من السلف بهذه الآية على أنه لا يكون الرهن مشروعا إلا في السفر، قاله مجاهد وغيره. وقد ثبت في الصحيحين، عن أنس، أن رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم تُوفِّي وَدِرْعُه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وَسْقًا من شعير، رهنها قوتًا لأهله . وقوله: { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ } روى ابنُ أبي حاتم بإسناد جيد، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: هذه نسخت ما قبلها. وقال الشعبي: إذا ائتمن بعضكم بعضًا فلا بأس ألا تكتبوا ولا تُشهدوا. وقوله: { وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ } يعنى: المؤتَمن، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن،من رواية قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة:أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"على اليد ما أخذت حتى تؤديه" (7).

وأكبر الخيانة هي خيانة الله ورسوله التي هي النفاق الخالص.والرياء بالأعمال من الخيانة،وعدم حفظ ما اؤتُمن عليه المرء من مال أو عمل يتكسب به أو يوثق منه عليه،كل ذلك من الخيانة. بل إن من أعظم الخيانة أن تحدث جليسك بحديث تكذب عليه فيه وهو مصدِّق لك.والدعاية الكاذبة لسلعة أو رأي هي خيانة،و الوالي الذي يلي رعية وهو غاش لهم،فهو كذلك خائن.ولا تجوز الخيانة حتى لمن من خانك .

ومن لطائف الأمانة أن رجلاً أودع عند آخر مالاً فلما رجع أنكر المال، فأتى أياساً فأخبره فقال أكتم أمرك، ودعا أياس المودع وقال قد حضر مال لغايب وقد بلغني أمانتك فحصن منزلك وأرسل إلي من تثق به ليحمل المال إليه، ثم دعا صاحب المال، وقال له أنطلق إلى صاحبك، وأطلب منه مالك، وقل له أن لم تؤده شكوتك إلى القاضي: فلما ذهب إليه رد عليه المال خشية أن يفوته المال الذي وعده القاضي، فأخبر أياس بذلك فضحك وقال: بارك الله لك في مالك(8).

قال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً"(سورة النساء الآية 58).

الأمانات كل ما ائتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي:كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا ممطولا بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله. وقد ذكر الفقهاء على أن من اؤتمن أمانة وجب عليه حفظها في حرز مثلها. قالوا: لأنه لا يمكن أداؤها إلا بحفظها؛ فوجب ذلك.

وفقوله: { إِلَى أَهْلِهَا } دلالة على أنها لا تدفع وتؤدى لغير المؤتمن، ووكيلُه بمنزلته؛ فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤديا لها .{ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو.

والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام، وهذا يستلزم معرفة الحكم به. ولما كانت هذه أوامر حسنة عادلة قال:{ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه، لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما،

لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم من مصالح العباد ما لا يعلمون. ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما.(**9**)

قال تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** " (سورة الأنفال الآية 27).

قد مدح الله المؤمنين من عباده، فوصفهم بأنهم يرعون العهد فلا يخونونه أو ينكثونه، ويحفظون الأمانة فلا يضيعونها أو يهملونها، وإنما يؤدونها إلى أهلها كاملة وافية. قال عبد الله بن أبي قتادة والزهري: أنزلت في أبي لُبابة بن عبد المنذر، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قُرَيْظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستشاروه في ذلك، فأشار عليهم بذلك –وأشار بيده إلى حلقه –أي: إنه الذبح،ثم فطن أبو لبابة، ورأى أنه قد خان الله ورسوله، فحلف لا يذوق ذواقا حتى يموت أو يتوب الله عليه، وانطلق إلى مسجد المدينة، فربط نفسه في سارية منه، فمكث كذلك تسعة أيام، حتى كاد يخر مغشيا عليه من الجهد، حتى أنزل الله توبته على رسوله. فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه، وأرادوا أن يحلوه من السارية، فحلف لا يحله منها إلا رسول الله صلى الله عليه [وسلم] بيده، فحله، فقال: يا رسول الله، إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة، فقال يجزيك الثلث أن تصدق به" **(10)**

قال سبحانه وتعالى:" ... **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ... "(سورة المؤمنون الآية 8).

وقوله: { وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان".**(11)**

وهل ياترى أمانة العشق والوعد الشفيف تستلزم الوفاء وعدم النكران والخيانة، نعم فالوفاء كل لا يتجزأ في إطار مشروعية ما نفعل ؟ وما نريد؟ وفي ذلك يقول الشاعر**(12)** :

أأحبابنا لو تعلمون بحالنا . . . لما كانت اللذات تشغلكم عنا

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا . . . وأبديتم الهجران ما هكذا كنا

وآليتم أن لا تخونوا عهودنا . . . فقد وحياة الحب خنتم وما خنا

غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن. . .وحلتم عن العهد القديم وما حلنا

وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم . . . ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

قال سبحانه: " ... **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ** "(سورة المعارج الآية 32).

{ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف السرية، التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار، وكذلك العهد، شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد عليه الخلق، فإن العهد يسأل عنه العبد، هل قام به ووفاه، أم رفضه وخانه فلم يقم به؟.

الأمانة من صفات الملائكة الأبرار، ومنهم جبريل الذي نزل بالقرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. **(13)**

قال تعالى: " **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** " (سورة الشعراء الآيات 192 – 195).

يقول تعالى مخبرًا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: { وإنه } أي: القرآن الذي تق دم ذكره في أول السورة في قوله: { وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ } (الشعراء: 176). { لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ } أي:أنزله الله عليك وأوحاه إليك. { نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ }: وهو جبريل، عليه السلام .

قال الزهري: وهذولكقة { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نزلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ } (البقرة:97) . وقال مجاهد: من كلمه الروح الأمين لا تأكله الأرض.{ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ } أي: نزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في الملأ الأعلى، { عَلَى قَلْبِكَ } يا محمد، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص؛ { لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ } أي: لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، وتبشر به المؤمنين المتبعين له. وقوله: { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بَيِّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجة، دليلا إلى المحجة.**(14)**

قال تعالى: " **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** " (سورة التكوير الآيات 19– 21).

ذِي قُوَّةٍ على ما أمره الله به ،والأمانة من صفات الأنبياء والمرسلين الذين ائتمنهم الله على رسالته إلى خلقه، والذين هم أمناء على ما يعود بالنفع على أمتهم،وحريصون على هدايتهم وإرشادهم.**(15)**

والمعظم نفسه يقول: نحن فعلنا وأمرنا .. وما أشبه ذلك، هو أنه لا يقول هذا إلا من هو مطاع معظم في قومه، ولا يكون المطاع إلا من له أتباع وخدم يقولون بقوله، ويرجعون إلى ما يقوله. كصاحب المذهب يقول: رأينا، ومذهبنا. أي أنا ومن يقول بهذا القول.ولهذا، الفقهاء والنظار يقول الواحد منهم: لا نسلم. ويكون واحداً لا غير، والمراد أن هذا أمنعه أنا ومن وافق قولي. فلما كان المتكلم إذا كان عظيما قال: نحن فعلنا، حمل على ذلك خطابه فقيل له: أنتم فعلتم ليكون ذلك مقابلة لما يقوله.وحتى تضبط هذه الطاعة،جاء قوله تعالى ثم أمين ،وهو ثقة أمين مقتَّم مكين.

قال تعالى: " **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ. قَالَ الْمَلأ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** " (سورة الأعراف الآيات 65– 68).

يقول تعالى: وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحًا، كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا.

قال محمد بن إسحاق: هم من ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. قلت:وهؤلاء هم عاد الأولى، الذين ذكرهم الله تعالى وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلى العَمَد في البر، كما قال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ }،(الفجر:6–8) وذلك لشدة بأسهم وقوتهم،كما قال تعالى:{ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }،(فصلت:15). وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف، وهي جبال الرمل.**(16)**

أي:{و} أرسلنا {إِلَى عَادٍ} الأولى،الذين كانوا في أرض اليمن{ أَخَاهُمْ } في النسب { هُودًا } عليه السلام،يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك والطغيان في الأرض.

ف { قَالَ } لهم:ا{قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } سخطه وعذابه، إن أقمتم على ما أنتم عليه، فلم يستجيبوا ولم ينقادوا.

ف { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ } رادين لدعوته، قادحين في رأيه: { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } أي: ما نراك إلا سفيها غير رشيد، ويغلب على ظننا أنك من جملة الكاذبين، وقد انقلبت عليهم الحقيقة، واستحكم عماهم حيث رموا نبيهم عليه السلام بما هم متصفون به، وهو أبعد الناس عنه، فإنهم السفهاء الكاذبون حقاً. وأي سفه أعظم ممن قابل أحق الحق بالرد والإنكار،وتكبر عن الانقياد للمرشدين والنصحاء، وانقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مريد،ووضع العبادة في غير موضعها، فعبد من لا يغني عنه شيئا من الأشجار والأحجار؟وأي كذب أبلغ من كذب من نسب هذه الأمور إلى اللّه تعالى؟ { قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ } بوجه من الوجوه،بل هو الرسول المرشد الرشيد، { وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ }. فالواجب عليكم أن تتلقوا ذلك بالقبول والانقياد وطاعة رب العباد. **(17)**

ففضيلة العقل تتفرع إلى ثقابة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والكفاية والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجري هذا المجرى، ومن ذلك قول الشاعر : (18)

وذي سفه يواجهني بجهلٍ ... فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة وأزيد حلماً ... كعود زاده الإحراق طيبا

قال تعالى على لسان ملك مصر مخاطباً نبي الله يوسف عليه السلام: " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ "

(سورة يوسف الآية 54).

يقال استخلصه واستخصه ، إذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به {فَلَمَّا كَلَّمَهُ } وشاهد منه ما لم يحتسب { قَالَ } أيها الصديق {إِنَّكَ اليومَلَدَيْنَا مَكِينٌ } ذو مكانة ومنزلة { أَمِينٌ } مؤتمن على كل شيء .

ورد في قوله تعالى: " ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين " وقد حذف جواب الأمر ههنا، وتقديره: فأتوه به.

فلما تحقق الملك والناس براءة يوسف التامة، أرسل إليه الملكقالو: ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي }أي:أجعله خصيصة لي ومقربا لديَّ فأتوه به مكرما محترما،{ فَلَمَّا كَلَّمَهُ }أعجبه كلامه،وزاد موقعه عنده فقال له:{ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا } أي:عندنا { مَكِينٌ أَمِينٌ }أي: متمكن،أمين على الأسرار،ف { قَالَ } يوسف طلبا للمصلحة العامة:{ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ }أي: على خزائن جبايات الأرض وغلالها،وكيلا حافظا مدبرا.**(19)**

ومكانٍ مكين، وحصنٍ حصين؛ يقيك المتالف، ويؤمنك المخاوف؛ ويكنفك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثان.وفي ذلك قال الشاعر :

يكون له عندي إذا ما ضمنته ... مكان بسوداء الفؤاد مكين(20)

قال تعالى: كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ " (سورة الشعراء الآيات 105 – 107).

{ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } فكونه رسولا إليهم بالخصوص، يوجب لهم تلقي ما أرسل به إليهم، والإيمان به، وأن يشكروا الله تعالى، على أن خصهم بهذا الرسول الكريم،وكونه أمينا يقتضي أنه لا يتقول على الله، ولا يزيد في وحيه، ولا ينقص، وهذا يوجب لهم التصديق بخبره والطاعة لأمره.**(21)**

قال سبحانه: " **كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** " (سورة الشعراء، الآيات 123 – 125).

أيكذبت القبيلة المسماة عادا،رسولهم هودا، وتكذيبهم له تكذيب لغيره، لاتفاق الدعوة. { إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ } في النسب { هُودٌ } بلطف وحسن خطاب: { أَلا تَتَّقُونَ } الله، فتتركون الشرك وعبادة غيره.{ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } أي: أرسلني الله إليكم،رحمة بكم، واعتناء بكم، وأنا أمين، تعرفون ذلك مني، رتب على ذلك قوله:{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ }. أي: أدوا حق الله تعالى، وهو التقوى، وأدوا حقي، بطاعتي فيما آمركم به،وأنهاكم عنه، فهذا موجب، لأن تتبعوني وتطيعوني وليس ثَمَّ مانع يمنعكم من الإيمان،فلست أسألكم على تبليغي إياكم، ونصحي لكم، أجرا، حتى تستثقلوا ذلك المغرم.{ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } الذي رباهم بنعمه، وأدرَّ عليهم فضله وكرمه، خصوصا ما ربَّى به أولياءه وأنبياءه. **(22)**

قال سبحانه: " **كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** " (سورة الشعراء، الآيات 141–143).

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ } القبيلة المعروفة في مدائن الحجر{ الْمُرْسَلِينَ } كذبوا صالحا عليه السلام، الذي جاء بالتوحيد،التي دعت إليه المرسلون،فكان تكذيبهم له تكذيبا للجميع.{ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ } في النسب، برفق ولين:{ أَلا تَتَّقُونَ } الله تعالى،وتدعون الشرك والمعاصي. { إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ } من الله ربكم، أرسلني إليكم، لطفا بكم ورحمة،فتلقوا رحمته بالقبول،وقابلوها بالإذعان،{ أَمِينٌ } تعرفون ذلك مني،وذلك يوجب عليكم أن تؤمنوا بي، وبما جئت به. **(23)**

قال عز وجل: "**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** " (سورة الشعراء، الآيات 160–162).

تجيء قصة لوط هنا . ومكانها التاريخي كان مع قصة إبراهيم . ولكن السياق التاريخي ليس ملحوظاً في هذه السورة ،إنما الملحوظ وحدة الرسالة والمنهج،وعاقبة التكذيب من نجاة للمؤمنين وهلاك للمكذبين .ويبدأ لوط مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح.يستنكر استهتارهم،ويستجيش في قلوبهم وجدان التقوى،ويدعوهم إلى الإيمان والطاعة،ويطمئنهم إلى أنه لن يفجعهم في شيء من أموالهم مقابل الهدى.ثم يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عرفوا بها في التاريخ. **(24)**

قال سبحانه: " **كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**"(سورة الشعراء، الآيات 176،178).

أصحاب الأيكة: أي: البساتين الملتفة أشجارها ، وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف . وكان شجرهم الدوم – الدوم: شَجر المُقل، وهو لايُكَم وإنمايُكَم النخل– وهم أصحاب مدين، فكذبوا نبيهم شيبا، الذي جاء بما جاء به المرسلون. { إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ } الله تعالى،فتتركون ما يسخطه ويغضبه، من الكفر والمعاصي. { إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } يترتب على ذلك، أن تتقوا الله وتطيعون. **(25)**

هذه قصة شعيب ومكانها التاريخي قبل قصة موسى تجيء هنا في مساق العبرة كبقية القصص في هذه السورة . وأصحاب الأيكة هم غالباً أهل مدين . والأيكة الشجر الكثيف الملتف . ويبدو أن مدين كانت تجاورها هذه الغيضة الوريفة من الأشجار. وموقع مدين بين الحجاز وفلسطين حول خليج العقبة .

وقد بدأهم شعيب بما بدأ به كل رسول قومه من أصل العقيدة والتعفف عن الأجر،ثم أخذ يواجههم بما هو من خاصة شأنهم . **(26)**

قال سبحانه على لسان إحدى ابنتي شعيب عليه السلام في وصف موسى عليه السلام: " **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** " (سورة القصص الآية26).

قال سفيان الثوري،عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة،عن عبد الله –هو ابن مسعود–قال: أفرس الناس ثلاثة:أبو بكر حين تفرس في عُمر،وصاحب يوسف حين قال:{ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ } (يوسف : 21)،وصاحبة موسى حين قالت:{ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ } .**(27)**

فيورد صاحب الظلال في ذلك،إنها وأختها تعانيان من رعي الغنم،ومن مزاحمة الرجال على الماء،ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال. وهي تتأذى وأختها من هذا كله؛ وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت؛امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى. والمرأة العفيفة الروح،النظيفة القلب،السليمة الفطرة،لا تستريح لمزاحمة الرجال،ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة .

وها هو ذا شاب غريب طريد وهو في الوقت ذاته قوى أمين.رأت من قوته ما يهابه الرعاء فيفسحون له الطريق ويسقي لهما . وهو غريب.والغريب ضعيف مهما اشتد. ورأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته.فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل . وهو قوي على العمل،أمين على المال.فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه.وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب ، ولا تخشى سوء الظن والتهمة.فهي بريئة النفس،نظيفة الحس؛ومن ثم لا تخشى شيئاً ، ولا تتمتم ولا تجمجم وهي تعرض اقتراحها على أبيها.ولا حاجة لكل ما رواه المفسرون من دلائل قوة موسى.كرفع الحجر الذي يغطي البئر وكان لا يرفعه فيما قالوا إلا عشرون أو أربعون أو أكثر أو أقل.فالبئر لم يكن مغطى،إنما كان الرعاء يسقون فنحاهم وسقى للمرأتين،أو سقى لهما مع الرعاء .

ولا حاجة كذلك لما رووه عن دلائل أمانته من قوله للفتاة : امشي خلفي ودليني على الطريق خوف أن يراها.أو أنه قال لها هذا بعد أن مشى خلفها فرفع الهواء ثوبها عن كعبها.. فهذا كله تكلف لا داعي له،ودفع لريبة لا وجود لها. وموسى عليه السلام عفيف النظر نظيف الحس،وهي كذلك ، والعفة والأمانة لا تحتاجان لكل هذا التكلف عند لقاء رجل وامرأة. فالعفة تتضح في التصرف العادي البسيط بلا تكلف ولا اصطناع! واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته.ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة،وميلاً فطرياً سليماً ، صالحاً لبناء أسرة .**(28)**

وهذا ميل عاطفي لامس قلبها بنل خصاله وصدق أمانته ودماثة خلقه ، فلا بأس أن تشير الفتاة لإبيها بمكنون نفسها وعفاف مرادها بمن تريد .

قد صدق حدسها فهي ما رأت إلا نبياً من أولي العزم المؤتمنين على الوحي ، الأشداء الأقوياء! وقد قيل: إن أفرس الناس ثلاثة: بنت شعيب وصاحب يوسف حين قال (عسى أن ينفعنا) ، وأبو بكر حين اختار عمر لإمارة المؤمنين.

وقد جمعت ابنة شعيب عليه السلام في تعليلها المختصر ذاك بين أمرين عظيمين، ينضوي تحتهما معظم الكمالات الإنسانية، وهما الأمانة والقوة.

قال تعالى: " وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ "(سورة الدخان الآيتان 17–18).

كما أن الأمانة أيضاً صفة من صفات عباد الله المؤمنين من الجن والإنس؛لأنهم عرفوا حقيقتها واستيقنوا كنهها،فأورثهم الله علماً من عنده،خارج عن إطار تصور العقل البشري .

قال تعالى على لسان أحد العفاريت الذين سخرهم لنبيه سليمان عليه السلام عندما طلب سليمان إحضار عرش بلقيس من اليمن **إليقَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأ أَيُّكُم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ** "(سورة النمل الآيتان 38–39).

والعفريت: القوي المارد من الشياطين، والتاء فيه زائدة . وأعلم سليمان لمن حضره من الجن والإنس:{ أَيُّكُم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ } أي: لأجل أن نتصرف فيه قبل أن يسلموا فتكون أموالهم محترمة، { قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ }– والعفريت: هو القوي النشيط جدا ، ونحن في عاميتنا نقول :هذا ولد عفريت، أي ، نشيط وكثير الشغب – وقال العفريت:{ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ }،والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر شهران ذهابا وشهران إيابا، ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا التزم بالمجيء به على كبره وثقله، وبعده قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه. والمعتاد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضحى نحو ثلث يوم هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك أو أكثر، وهذا الملك العظيم الذي عند آحد رعيته هذه القوة والقدرة ،وأبلغ من ذلك أن { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ } قال المفسرون: هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له: " آصف بن برخيا " كان يعرفلسم الله الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطى، { أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ }،بأن يدعو الله بذلك الاسم فيحضر حالاً وأنه دعا الله فحضر العرش. فالله أعلم هل هذا المراد أم أن عنده علما من الكتاب يقتدر به على جلب البعيد وتحصيل الشديد. **(29)**

يعلق صاحب الظلال في ذلك فيقول :" وقد عرض عفريت من الجن أن يأتيه به قبل انقضاء جلسته هذه . وكان يجلس للحكم والقضاء من الصبح إلى الظهر فيما يروى. فاستطول سليمان هذه الفترة واستبطأها فيما يبدو فإذا { الذي عنده علم من الكتاب } يعرض أن يأتي به في غمضة عين قبل أن يرتد إليه طرفه ، ولا يذكر اسمه ، ولا الكتاب الذي عنده علم منه . إنما نفهم أنه رجل مؤمن على اتصال بالله ، موهوب سراً من الله يستمد به من القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجز والأبعاد . وهو أمر يشاهد أحياناً على أيدي بعض المتصلين ، ولم يكشف سره ولا تعليله ؛ لأنه خارج عن مألوف البشر في حياتهم العادية . وهذا أقصى ما يقال في الدائرة المأمونة التي لا تخرج إلى عالم الأساطير والخرافات!

لقد جرى بعض المفسرين وراء قوله:{ عنده علم من الكتاب } فقال بعضهم:إنه التوراة . وقال بعضهم:إنه كان يعرف اسم الله الأعظم.وقال بعضهم غير هذا وذاك.وليس فيما قيل تفسير ولا تعليل مستيقن.والأمر أيسر من هذا كله حين ننظر إليه بمنظار الواقع،فكم في هذا الكون من أسرار لا نعلمها،وكم فيه من قوى لا نستخدمها.وكم في النفس البشرية من أسرار كذلك وقوى لا نهتدي إليها.فحيثما أراد الله هدى من يريد إلى أحد هذه الأسرار وإلى واحدة من هذه القوى فجاءت الخارقة التي لا تقع في مألوف الحياة،وجرت بإذن الله وتدبيره وتسخيره،حيث لا يملك من لم يرد أن يجريها على يديه أن يجريها" .**(30)**

وذكر الزمخشري وقرىء : «عفرية» والعفر ، والعفريت ، والعفرية ، والعفراة ، والعفارية من الرجال : الخبيث المنكر ، الذي يعفر أقرانه . ومن الشياطين : الخبيث المارد . وقالوا : كان اسمه ذكوان {لَقَوِيٌّ } على حمله { أَمِينٌ } آتى به كما هو لا اختزل منه شيئاً ولا أبدله .

قال تعالى: " **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**" (سورة آل عمران الآية 75).

جعلنا الله وإياكم ممن يتحلون بصفة الأمانة، ووفقنا جميعا لصالح الأعمال.

يخبر تعالى عن اليهود بأن فيهم الخونة، ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم،فإن منهم { مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِطَارٍ } أي: من المال { يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ } أي: وما دونه بطريق الأولى أن يؤديه إليك { وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا } أي: بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقك، وإذا كان هذا صنيعه في الدينار فما فوقه أولى ألا يؤديه.**(31)**

يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب في الوفاء والخيانة في الأموال،لما ذكر خيانتهم في الدين ومكرهم وكتمهم الحق، فأخبر أن منهم الخائن والأمين، وأن منهم من إن تأمنه بقنطار وهو المال الكثير يؤده وهو على أداء ما دونه من باب أولى،ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك وهو على عدم أداء ما فوقه من باب أولى وأحرى،والذي أوجب لهم الخيانة وعدم الوفاء إليكم بأنهم زعموا أنه ليس عليهم في الأميين سبيل أي: ليس عليهم إثم في عدم أداء أموالهم إليهم، لأنهم بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار،ورأوا أنفسهم في غاية العظمة،وهم الأذلاء الأحقرون، فلم يجعلوا للأميين حرمة، وأجازوا ذلك، فجمعوا بين أكل الحرام واعتقاد حله وكان هذا كذبا على الله،لأن العالم الذي يحلل الأشياء المحرمة قد كان عند الناس معلوم أنه يخبر عن حكم الله ليس يخبر عن نفسه، وذلك هو الكذب، فلهذا قال{ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وهذا أعظم إثماً من القول على الله بلا علم ثم ردّ عليهم زعمهم الفاسد. **(32)**

ومن اللطائف رُوي أنه إنما سمي الدينار لأنه دين ، ونار ، قال : معناه أن من أخذه بحقه فهو دينه ، ومن أخذ بغير حقه فله النار.أما الدرهم فكان يسمى دار هم .

خاتمة:

قيل للقمان ما بلغ بك ما نرى يريدون الفضل فقال لقمان صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني.وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"لا دين لمن لا أمانة له".وأول ما يرفع من هذه الأمة الأمانة.وقال بشر بن بكر رأيت الأوزاعي مع جماعة من العلماء في المنام في الجنة فقلت وأين مالك بن أنس؟ فقيل:رفع. قلت:بماذا؟ قال:بصدقه **(33)**.

إن الأمانة العظيمة التي أشفقت من حملها السماوات والأرض لن يستطيع أن يحملها الإنسان إلا بالعلم والعدل.

فالأمانة سبب للنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة،فعلينا تحريها وتحري من يتصف بها في جميع شؤوننا؛لأن فيها أسباب استقامة المجتمعات وسلامتها من الأمراض الاجتماعية،كما فيها تزكية النفوس وكبت الشهوة وإعلاء القيم الفاضلة لسلامة الفرد،وأمن الأمة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

(1)- الثعالبي (أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي)(1965م)

– ثمار القلوب في المضاف والمنسوب تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط1 – دار المعارف – القاهرة – ج1 – ص132.

(2)– إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار (1999م) –المعجم الوسيط . ج1– دار النشر : دار الدعوة – تحقيق: مجمع اللغة العربية– ص.28

(3)– محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (1995م)– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان – (328/1).

(4)،(7)، (10)،(11) ، (14)، (16)،(27)،(31)– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(1999م) – تفسير القرآن العظيم – المحقق : سامي بن محمد سلامة –الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع– الطبعة : الثانية– ص– (1–728)–(40/4)– (463/5)– (162/6)–(162/6)– (433/3)–(229/6)–(260/3).

(5)– أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(2001م)– تهذيب اللغة . تحقيق:محمد عوض مرعب – ط1– دار إحياء التراث العربي – بيروت – (61/5).

(6) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (1973) – لسان العرب – ط1– دار صادر – بيروت – (541/2).

(9)، (13)،(15)،(17)،(19)،(21)،(22)،(23)،(25)،(29) – عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (2000م)– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق – الناشر : مؤسسة الرسالة –الطبعة : الأولى – ص (887/1)– (887/1)– (912/1)– (193/1)– (400/1)– (594/1)– (595/1)– (596/1)– (596/1)– (605/1).

(**8**)،(18)الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (1998م) – الكشكول – تحقيق: محمد عبد الكريم النمري–ط1– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ص

(12) داود بن عمر الأنطاكي الضرير(1993م) – تزيين الأسواق في أخبار العشاق – تحقيق : د . محمد التونجي– ط1– دار النشر : عالم الكتب – بيروت – لبنان – 1413هـ – 1993 – (38/2).

(20) أبوعبيد البكري (1971م)– فصل المقال في شرح كتاب الأمثال – تحقيق إحسان عباس –ط1 – ج1–مؤسسة الرسالة –لبنان –بيروت– ص58.

(24)،(26)،(28)،(30)،(32) سيد قطب (1978م) – في ظلال القرآن– ط7– دار الشروق – بيروت – (360/5) – (361/5) – (420/5)– (383/5)–(324/5).

(33) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (2000م)– الاستذكار – تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض– ط1– دار الكتب العلمية – بيروت – ص(575/8).